الدين الإسلامي يدعو إلى الفضائل

الحمد لله الذي جعلنا من أمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، نبينا محمد وعلى آله وصحابته الأعلام، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فلقد خلق الله الخلق لحكمة عظيمة، فأوجب عليهم إخلاص العبادة له وحده دون سواه قولاً وعملاً واعتقاداً. وجعل الاستجابة لغيره في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله كفراً يخرج عن الملة. قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، والمراد بذلك طاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال؛ كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم حينما سأله.

وإن الواجب علينا أن نتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ المشتملين على كل خير، الناهيين عن كل شر، فإن العدول إلى غيرهما من الآراء والأهواء والاصطلاحات الفاسدة المعتمدة على غيرهما لأعظم ما يفسد

الأرض بالمعاصي، ويبعد عن الله في الدنيا والآخرة: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

فما أحوجنا في هذا الزمان إلى أن نتحصن بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! وبالسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ! وسيرة السلف الصالح! قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ﴾ [النساء: ٥٩] الآية.

وقال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتن، فقال علي رضي الله عنه: ما المخرج منها يا رسول الله؟ فقال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخير ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله – وفيه –: هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة» الحديث.

وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور».

لقد اشتمل الدين الإسلامي على جميع ما يصلح أحوال البشر في دنياهم وأخراهم، فأنار لهم الطريق، وأخرجهم من الظلمات إلى النور. فهو

يدعو إلى الاستقامة، وينهى عن الانحراف أيًّا كان نوعه؛ قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

ولقد طلب الصحابي الجليل أبو عمرو، وقيل أبو عمرة سفيان بن عبدالله رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه كلاماً جامعاً لمعاني الإسلام لا يحتاج معه إلى سؤال غيره، فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: «قل آمنت بالله ثم استقم». فأمره بعد الإيمان بالاستقامة؛ لأنه لابد للإنسان بجانب إيمانه أن يكون متحلياً بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، ومتجنباً لسواها.

وبالإسلام تحصل الراحة التامة والاطمئنان النفسي، ويشعر المسلم بصلة قوية بينه وبين خالقه، وتتخلص نفسه من البدع والضلالات والتيارات الإلحادية والأفكار المنحرفة ونحوها.

وصاحب الإسلام صالح في نفسه، مصلح لمجتمعه، لأن الإسلام ينفي كل مبدأ أو تيار لا يرتكز على الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، بخلاف الإلحاد فإنه يجعل صاحبه تائها في حيرة من أمره، تختلجه الظنون والأوهام.

ولقد سعى الدين الإسلامي إلى حماية الإنسان من كل ما يوجه نحوه من نزعات الشر والإلحاد، وحث على السير على الطريق القويم، والتمسك

بالأخلاق الفاضلة الحميدة على أساس من العقيدة الراسخة. فبالأخلاق الفاضلة تسعد الأمة، وتنهض اجتماعياً وأدبياً. فما تحلى بها أمة من الأمم إلا صلحت أحوالهم، واستقرت المحبة وساد الوئام بينهم، وهي دعامة من دعائم حفظ كيانها، فإذا صلح الفرد بنفسه صلح مجتمعه، وإذا فسد فسد مجتمعه.

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ❖ فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد ارتضى الله سبحانه وتعالى هذا الدين الإسلامي لعباده لأنه دين عقيدة وعمل وتنظيم لحياة البشر جميعاً، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣]، فهو لا يقف على حد الإخلاص لله وحده، بل فيه تهذيب للأخلاق، ومقاومة للفساد، وتقوية لأواصر الأخوة والصلة بين المسلمين برباط من التراحم والمحبة لا يعدله أي رباط آخر، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله» الحديث.

وقال: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد» الحديث.

وما سوى هذه المحبة فقد حذر منها الإسلام ونهى عنها، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

ولقد نظر الدين الإسلامي إلى التفاضل بين جميع الأجناس البشرية على أساس التقوى والإيمان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى».

فتعاليمه شاملة، وفيه سعادةُ البشر وصلاحهم في الدنيا والآخرة، ولن يقبل الله من أحد ديناً سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وإن الدعوة إلى الله، والاستقامة على شرعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحذير عن المفاسد التي حرمها الإسلام لأمر واجب على كل فرد حسب استطاعته، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

ﭐلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وعلى الداعي أن يكون قدوة لمن يدعوه، صالحاً في نفسه حتى يقبل الناس إلى قوله، ويأتوا إلى ما يدعو إليه طائعين، فلا يريهم من نفسه إلا خيراً، ولا يدعو إلى البر وينسى نفسه!.

وإن أهم ما يتحلى به المرء في حياته هو الصدق في جميع أعماله وتصرفاته وأقواله، فيجب أن يكون صادقاً مع الله في إيمانه بفعل ما أمره به وترك ما نهى عنه، قائماً بالواجبات الدينية، مكتسباً للفضائل، مترفعاً عن الخلق الذميم، محافظاً على تعاليم الدين الحنيف معتزاً بذلك قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ [محمد: ٢١].

وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ... » الحديث.

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حفظت من

رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»؛ إلى غير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تحث على الصدق وتبين فضله.

أخذ الله بيدي وأيديكم إلى الهدى، وجنبنا طريق الردى، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

